المشولوجيا والعسدالسة

فالم عبد الجنار

12

الانسان، كما يقول ارسطو، هو حيوان،

واستمدت الأعراف (عند البرابرة)، مثلما

الألهى منذ عهد القديس اوغسطين. كما نجدها في فكرة "القانون الطبيعي" الذي ينطلق من مفهوم ان الحياة وديعة مقدسة في الجسد، يحرم حتى على مالكها، المساس بها. وان ملكية المرء لجسده هي اولى اشكال الاعتراف بفرديته، مثلَّما ان ملكيته لافكاره هي ثانى اشكال اقرار قدسية كيان الفرد، جوهر الحياة. لقد تحرك القانون من فكرة الحق الالهي، الى الحق الطبيعي، فالحق الوضعى، وتطورت رؤاه وتشعبت، لكنه بقي يحتوم في دائرة حفظ حق الحياة، حقّ الملكية، حق الحرية.

ما من مدونة قانونيةِ إلا وتحتفي بهذه الحقوق الاساس، جهارا أو موارِبة.

اعدم جيمس الأول على جدار قصره. وكنت على غير دراية مني ارتشف القهوة يُّ حانة صغيرة (الحانة عند الانكليزهي المقهى عند العرب) بالقرب من محطة آكتون (غربي لندن)، من دون ان افطن الي اسمها الغريب: رأس الملك، ويردان هذا المحل بلوحة مرسومة رسما بدائيا تصور جلاداً مقنعاً يمسك برأس ملك مبتور من بعره، والدم يتقاطر من اوردة حز العا وعرفت ان النظارة الذين جاؤوا لمشاهدة المليك المخلوع في العربة التي قادته الي النطع، جلسواً ها هنا يحتسون الجعة، او يرتشفون الشاي، جذلين بوقوع مليكهم في براثن القضاء. فالعدالة بعد كل هذا شاملة. لعل المحاكمة لم تكن مثالية، ولعل اركانها القانونية تأثرت بفعل قوة الأهواء المتصارعة بين برلمان (مدجج بجيش وقادة جند طامحين) ومليك مدعم بنبلاء يريدون البقاء على امتيازات بلا قيد. لكن الثابت أن وأقعة الأعدام أرست سابقة

تاريخية: بداية فرض حكم القانون. المدونات القانونية.

ينعمون بـ اعفاء قانوني، نوع من علاوة. وهناك قولة شهيرة لهيغل (لا أني اكررها) وهي ان " العقوبة حق المجرم "، فهي اقرار القانون، سيَّان إن كان على جهة المدعي، او

ما زلنا ننظر الى تطبيق القانون من

ميثولوجيا عربية اسلامية تقوض فكرة القانون بمجرد اعطاء بعض الافراد حصانة فوق البشر، وبمجرد ان تنسب الي اية عملية قضائية دوافع القائمين عليها. ولما كانت هذه الدوافع قادمة من الخارج فانها ملوثة بشبهة المصالح، غربية كانت ام شـرقيـة. ونحن بـالطبع، مجـردون من المصالح! لعل الريبة تحيط هذه الدوافع، كلاً او جـزءاً، لكن ثمـة حقيقـة صلبـة. هناك دم مسفوح، هناك جريمة. والعقوبة، من جديد، هي حق المجرم، اعتراف

بآدميته ويخرقه حدود هذه الآدمية.

ولكنه حيوان سياسي، والحيوان السياسي عنده هو مواطن المدينة الدولة. وكل من يقع إو ما يقع خارج هـذا الحقل ينتمي الى " البرابرة " و " البربرية ". وبهذاً التقسيم اضفى الغابرون على غرائزنا الدنيا صورة نبيلة بفضل اغطية فكرية، سيان إن كانت دينية او وضعية. وهكذا اضفينا على كل الغرائز طابع الضرورة الاخلاقية المبررة، التي تـرتعش اوصال الفرد خشوعاً امام جبروتها المحرك. الحيوان السياسي هو المواطن في دولة المدنية، والبربري، هو الهائم في البوادي، مجردا، زعماً من الفكرة الأخلاقية، أو سمها ما شئت: عرفاً، او قانوناً. وللأثنين، الدني والبربري، بالطبع، الغرائز نفسها لُ حَفَّظُ البِدَاتِ، والتَّمَلِكِ، والـوصال

استخلصت المدونات والشرائع (عند مواطن المدينة)، من هذه الضرورات الذاتية للوجود البشري، جملة اقانيم تكاد أشكل قاعدة الاجتماع في الحضارة الانسانية، نعني بذلك حقّ الحياة، وحق الملكية، وحق الحرية. ونجد هذه الحقوق مبثوثة في القانون

ويحتفي مفكرو اوروبا، مثلاً، بمحاكمة

العاهل جيمس الأول (القرن السابع عشر) في البرلمان الانجليزي، لخرقه الدستور. لعل اهم عبارة دونت في مرافعات المحكمة: "كيف لك ان تأمر رعاياك بالتزام القانون، اذا كنت انت نفسك، ايها المليك، تُخرقه؟ "

والقانون في الاساس التزام متبادل يتوطد في العادات، ويترسخ في الأعراف، ليصار الى القبول به مبدأ اخلاقيا ملزماً في

ويرى مفكِرو اوروبا ان هذه الواقعة هي نقطة تحول نحو الغاء فكرة ان ثمة افراد خوارق، بحكم دم ازرق، او مكانة مقدسة،

بِالْمُسَاوَاةُ مِعَ الآخرينَ فِي القَبُولُ بُمظلةً جهة المتهم، او قل هي اقرار بآدميته واشارة الى خرقه حدود هذه الآدمية. ويبدو لي ان حضارتنا الراهنة لم تدخل بعد فكرة الطابع الشامل للقانون. ما يزال ملوكنا، المتوجون وغير المتوجين، يطلقون رغائبهم الناتية لتتحول الى اقانيم، واعراف،

موشور مثالبه، وهي كثيرة، وليس من موشور غيابه، وهو غياب كارثي بالمطلق. والعجيب اننا نحاول ذلك في حضارة تحافظ، منذ داحس والغبراء، على قيمة الحياة، ممثلة في ايديولوجيا الثأر، وهي اقدم اشكال العدالة. في الماضي كانوا بدفعُون "الديات"، وفي الحاضر يقدمون التعويضات، مشفوعة باعتذار. أما اليوم فينبغي النسيان، والصمت. ثمة

في ذكرى جدورج حداوي المقتدول بسبب لبندان أولاً



أبسك الآن بعيد سنتين من استشهاده صرة ما يجمعني ب 'جــورج حـــاوي" ومـــا پـــوجعـــّـي ويمتعني بشهادته. راجياً أن يكوِن لدِي منَّ الحبر مِا يكفِّي.. خاصهُ أننا نعاني جفافاً يمتد من المحيط إلى الخليج ومن فلسطِّين إلَّى فلسطين ومن مرمى الثلج إلى فقش الموج.

لست معنياً بحساب الفوارق بين كونه مِاركسِياً أِو مادياً وكوني مسلماً محمدياً على إيقاع نهج البلاغة.. أي مثالياً بتعبير أدبيات الماركسية آلتى جذبتنا سهولة محدودة فيها أكثر ممًا شِدِّتنا أسئلتها أو الأسئلة عليهًاٍ، والَّتي ما تـزال مطـروحـة، وإن كف الكثيـرون عن طرحها، ومِنها السِّؤال اللاهـوتـي عن الله والـديّين. بعـد انسداد التجربة الشيوعية لأسباب تتراوح بينِ الدَّاخل وإلخارج، بإِين المنهج والتطبيق، جراء التَّشبُثِ بحقائق أو فرضيات نسبية، أي ضُدًّ الماركسِية في النهاية، بما هي فلسفة يا التَّفسيـر والتَّغييـر، ومشروع مفتـوح على المستجـد في نظام المعرفة وأدوات التَّحليل والمشروع السياسي أو الاجتماعي المتركب

وهذا ٍ أمرٌ، لا يقع الدّين، والإسلام خِاصة، بمعزلٍ عن فضائه، بمعني أنَّ القراءة النَّسبية للنص الدينيَ هي الطريق الحصري للحضاظ عليه، حتَّى لو انتقلت المعرفة به إلى معرفة مغايرة طبقاً لجدل الثابت والمتغير وأثره في إعادة إنتاج

المعرفة.. كأن مرضنا واحد، وبذلك يكوِن دِواؤنا وِاحداً.. ولولا النَّقِد الدّينيّ لتعطّل الدّين وقد تِعطّلت الماركسية عندما تعطل النقد أي العِلم بها وتحولت إلى إذعان حول الناقدين إلى منشقين أي كفرة ينفون أو يقتلون.. والأِن هناك وعد أو وعيد بتعطيل النّقد الدّينيّ لتغبطية الهجوم على الدين بالدِّين، وأخيراً غزة.. أسارع هنا إلى إعلان تضامِني مع جورج حاوي ـڤٍ تشبثه بالنُقدِ، وإن كانَ متأخَراً، سبيلاً إلى الصواب، وأرى في شهادته عقوبة على تلبسه بذنب طلب

التقيت جورج حاوي أيام كانٍ أقرب إلى الأرثوذكسية أو السلفية الماركسية وأناً أقرب إلى الأرثوذكسيةِ أو السَّلفية الشَّيعيَّة مجازاً. لأن ثنائية الاجتهاد والتَّقليد واشتراط الحياة في المرجع تعيق تحِقِّق سلفية شيعيَّة إلاَّ فِي حدود التَّمثُّل بِالآخرين كِما نشهد من نزوع شيعي إلى التَّمثُل ب (بن ٍلادنٍ) مثلاً.

وُلْأَنَّ السَّلْفية مزاج فإنَّ العلم على أساسها يقع خارج العلم اللذي يشترط السيرورة لنذاته ليكون علماً، بينما السلفية تودي إلى حبس الثَّابِت في الذِّهن، تُحول العلِم إلى ذهاِن، ومن هنا تأتي الشِّمُوليةَ بكلِّ تِجلياتها.. فتمِنعَ الثابت من التعرض لشمس النقد وهـواء الأسئلة، وتحجب المتغير، على أساس أن الحقيقة والمثال ناجزان، ولا داعي لتحريكهما أو إزعاج أنفسنا بالبحثِ وإنتاج الوعي المشترك.. وهِـذا أدى ويـؤدي إلى تثبيت غير الثابت، أي تقديس غير المقديُّس، من خلال اخترانه في أنظومة مفهوميّة تحوله من مصدر للاحتمال إلى خرافة. سلفيتي المحلاة بمفردات حداثية.. وسلفيةً الشّيوعيين وجورج حاوي، أدّت في سبعينيات القرن المنصرم، إلى فراق فكري غير عدائي، ولم يلبث أن مال إلى شيء من اللطف إبان انحيازي الوجداني أساساً إلى المقاومية الفلسطينية، واندماجي مخترقاً إغراءات لاصقة بجبتي، في حركة مزارعي التبغ رفاقي ورفيقاتي منذ الطُّفولة في المشتل وليل القطاف وخيمة الشكاك، والضاجعة يوم . تسليم المحصول إلى الريجي، من دون أن يكون ذلك كافياً الأمتَّلاكي

الرؤية السياسية الملائمة ولا غير المَلْأَنَّمة لهِذَا المسلك النَّضالي. في حِين أن جورج حاوي، وأنَّا هنا أتكلُّم عن شخصه وعن كونه معادلاً على مدى ما يزيد على عقدين من

الزّمان، أي حتّى انهيار الاتّحاد السوفياتي واهت زار عمارات الأحزاب الشيوعية في الأطراف معادلاً للحزب الشّيوعيّ اللبنانيّ برمته، خارج الانشقاقات الفرديّة من قدري قلّعجي إلى هاشم الأمين إلِي نسيب نمر لآحقاً، وخارج حركة اتُحاد الشيوعيين الذين أحببت متأخراً بعض من أسِهم فيها من دون أن أِفهمها.. عوداً على بدء.. في حين أن جورج حاوي، كِان قد أتى من دون أن يكون ضيضاً مثلى، إلى المقاومة، من ضرورات وطنيَّة ذاتّ نكهة براغماتية على سوفياتِية، وفيها الكثير من مسايرة إلسائِد القومي، وهذا ليس مديحاً، إن لُم

وما يستحقُّ المديح هنا هِو أنِّ جورج

حاوي على العكس مني، لَم يكن يمارس التبسيط السياسي تحت ضغط الإيديولوجي، التي تعني في حالتي وحالة أمثالي غياب السياسي، ما يفسر إحباطاتنا المتكررة، والمأخذ الحقيقي عليه هنا وعلى حزيه، أنَّه غلب الَّدرائعية السياسية على المطلبية الوطنية، فكان شريكاً أسِاسياً في الحرب، وفي حين لُم يتعدِّ خطأ أمثالي بعده الذَّاتي أو الشَّخصي، أي الآندفاع العِاطِفَىُ العشوائيُ مَع الْمقاومة حدَّ التماهي ونسيان الوطني من أجل القِومي، ما أدًى في مسيّرة حركة التحرر العربيّ إليى الإضرار بالقومي والوطني معاً.. أقول قولى هذا من دون جلدٍ لذاتي، ولكن هذه العفوية لإ تشكِّل سبباً تخفيفياً، خاصة أننا جميعاً أسهمنا في تضليل المِقاومة أو زيادة ضلالها من خلال التماهي معها. ومن دون أن تكون ارتكابات اليمين اللبناني مسوغاً تامًاً لأرتكاباتنا. وهنآ

في الحراك السيلسي اللبناني الراهن أي تبرير الشر بالشر.. وتحِيل أنناً ديموقراطيون أو قديسون لأن الآخر غير ديموقراطي أو غيـر مقـدس وهِـو كـذلك، ولكن

أخشى أن يستمر هذا النهج سائدا

ذلك لا يكفي ولا يُعفي. في المحصلية التقينا على ما سماه الْإمام الصُّدر المحرومين من أرضهم والمحـرومـين في أرضهـم وعلـى ألف التباس والتباس، وعلى مجاملات ومسايرات وإغضاءات جعلت التِّفاصيلِ والتَّجاوزات تترِّاكم حتى أكلت كلَّ شيء.. وإن كنِّــا ُ قـــدً اعترضنا، فقد كانت اعتراضاتنا خجولة ومترددة ومأخوذة ببريق البنادق واستضزاز العدو وإيحاءات آسرِرة في عيون شيخ الشطار أبي عمار، جعلتنا نعاني بين شاعرية

الاعتدال الفلسطيني وصوفية اليسار الفلسطيني، إلى ذلكِ فقد كان أكثر اعتراضاتنا مبنيا على مواقعنا المتقابلة بحدّة في السِّياق الفلسطيني بين الحركة الوطنية وما سمي وقتها بالقوى الوطنية. التي أتت إلى حركة فتح من مزيج من الحساسيات داخل منظمة العمل الشُّيوعيَ وحساسيات المنظمة تجاه الحزب الشيوعي اللذين عادا والتقيافي كنف كمال جنبلاط واستأثرا به دهراً. مطلين معه على الحِيز الإشكالي الدي احتله أبو عمار في السباق الوطني اللبناني.

بتركيز، كانت الحركة المطلسة والنضالية عموماً في فهم جورج حَاوِي المتَنَزل على عقل الحزب وسلوكه، مع جدل ما، وليس من دونه دائماً، أقرب إلى الأداتية أو الوسيلة التي ليس بالضرورة أن لا تكون مشروعة، ولكن يتخللها الكثير من اللامشروعيَّة بسبب غياب أو تغييب نسبي لمنظومة قيم يفترض أِن تكون حاكمة على العمل

السياسي.

في حين كان الكثيرون مِمِّن قِطعوا مع الحركة الوطنية قد أُدِّت بهم قطبيعتهم إلى الإطلالة الماوية على الدين، ماوية على حسابهم طِبعاً، نزلت بالدين إلى مستوى الضرورة المرحلية قياسا على الكومنتانع وشن كاي شك، ما فتح معارضتهم المشوبة بالكيدية للحركة الوطنية على إعادة تقييم إيجابي لأنظمة عربية أجمعت الحركة الوطنية وقتها علي اعتبارها رجعية.. أصارحكم أني كنت قريباً مِن هذِا المسار.. أي كنت مفارقاً بحدة وشدة لـ ؟جورج حاوي؟، وكاد ذلك يسبب لي الكثير من الأذى الوطني والفلسطيني.

يسرني أن جُورج حاوي ومعه رهط من رفَّاقه قد أقروا بأنَّ اليمِين العربيُّ أسلم للوطن والأمُّة والمواطن من التّقدميين العرب من السعودية إلى أبي عمار وأبي مازن إلى المقابل من القذافي إلى صدام حسين إلى الذيليين من القوميين الملتحقين بالتّكفيريين إلى الإسلاميين الوارثين للتركة القوميّة اللاقوميّة لأنّها لا وطنية

تعريضاً. لقب قتل جورج حاوي بعدما تجمعت لديه سلّة من الحصائق جعلت خطابه وسطيأ إعتداليا تسووياً، لا بمعنى التَّلفيق، تل بمعنى الرؤية الموضوعية الشاملة للحِقائق والوقائع والمؤشرات. ما أهله لأن يكون مشروع حل لأزمة

الحزب الشيوعي اللبناني التي كان هو أحِد أسبابها، وهذا مسلك يتعدى الجزب إلى كلُ الحياة والحركة السياسية في لبنان والعالم العربيّ.. وعلى هذا الأساس عجلواً بقتله، قتل بين مقتل الحريري وسمير قصير وبين مقتل جبران تويني، لأنه كان ذاهباً إلى مكان وسط بين الحرب الشيوعي وبين مجموع ما تمثله هذه الأسماء من مراجعات ونزوع نحو الاعتدال والوسطية والتسوية مدخلا إلى مشروع وطني تأخرنا عن إنجازه لأسباب وطنية شبه وثنية وأسباب

قومية شبه جاهلية وأسباب أممية شبه خرافية، في هذه اللحظة كنت وأمثالي نلتقي مصادفةٍ في هِذا اللوقع الوسطي النَّقدي ثُمَّ تحوِّلت المصادفة إلى موعد للمؤتمر الدائم للحوار اللبناني مكاناً للتحرر مِن ضغوط الصُّورة النَّمطية عن الذَّات والآخر. أو المختلف. هِنا قتل جورج حاوي، في الوسط الذي يرى بين قدميه وما حوله، وبعدما قال كلاماً عن الدبين والإسلام جعِلني أوإفق على مِا

افترضته مرة من أن مسألة الدين في بلادنا أعمق وأعقد بكثير من كلام اليساريين عن علاقتهم بالدِّين وكلام المتدينين عن البسار. بكلمة.. قتلٍ جورج حاوي لأن خياره الأِخِيرِ وَالْنِهَائِي قد أَصْبِحِ لَبِنَانَ أُولًا .. كياناً ودولةٌ واجتماعاً. ۗ

هـذه الـشّهـادة لـ "جـورج حــاوِي" ولبنان ليست من تحصيلًى الذاتي بل تدخل فيها مجموع حوارات عميقة وودودة مع كثير من الشيوعيين الذين تخلصوا من داء نسيان الأسئلة وحرّروا عقولهم من لائحة الإِجوبة النِّي لا تجيب.. أخرهم أوَّلهم، الأستاذَّ كريم مروة الَّذي لُم أجد مِسافة بينه وبين جورج حاوي إلاً بمقدار ما تكون الثنائية ضرورة للوحدةِ.

أسعدني أن يصغي إليّ كريم مروة بإحدي أذنيه وأذن جورج حاوي ناقـدا للتجـربـة من دون تـشف أو إنكار أو تنكّر أو نكران متسائلاً عمّاً إذا كان الشيوعيون العرب ماركسيين فعلاً.. لا بالمعنى الأرثوذكسي بل بمعنى إخضاع المنظِومة الماركسية للمساءلة الدَّائمة.. وإلا فلماذا لُم ينتج الشيوعيون رؤيتهم الخاصُّةُ؟ لماذا لُم ينهمكوا في إنتاج فكر مدنيُّ أو علماني ملائم؟ لماذا تماهوا مع موسكو وهم يعرفون مقادير الخلل في الفكر والسلوك؟ لماذا لم يصغوا.... لوفيفر وغارودي وجورج مارشيه وتولياتي وكاريو.. وبرودون

لماذا أهملوه بناء على مزاج ماركس صُديقه الَّذي قطعه وقاطعه؟ وهل كانت البراءة من الستالينية بعد فوات الأوان بالوفاة وافية؟

وأصغى لا كريم مروة وهو ينتقد بعمق استسهال اليسار وقوى الحداثة عموماً للمسألة الدِّينيَّة، ما جعل العودة إلى الدِين لدى كثير من اليساريين بلاء لكثير من

هـدا، ونحن الآن في لبنان على مفترق.. وأنا أدعو إلى اقتباس الجدلى الإشكالي المركب من مسلك جورج حاوي وتحويله إلى جزء من رؤيتنا للبنان التعددي الذي يحمله تعدده وثقافته المجتمعية البينية الجامعة عبء الإصرار على تدوين رسالة إلى العرب.. وإذا ما كان الصراع المحكوم أو المغلب للخارج على الداخل قد جعل لبنان مريضاً بالقطيعة، فإنَّ مِآلهِ الإنقادِي والنهضوي لن يتحقّق إلاّ بالتّصديُّ لهذه الرسالة. رسالة الحداثة اللبنانية كأمثولة لحداثة عربية متحرّرة من الإعاقة الإيديولوجية بالمعرفة ومن العقائدية الفتاكة بِالبِرِنامِجِيَّة الْمِتحرِكَة، وإلاَّ فإنَّ لبنان سوف يتحوّل من دواء إلى داء ومن نموذج لإنتاج المضادات الحيوية للتخلف ونقص الحرية والخراب والكفر والتكفير إلى جرثومة سرطانية. لقد بياً جورج حاوي شيوعيته ووطنها بعدما اكتشف شرطها الوطني.. قام بذلك ٍجهراً فأتاح لى أن أجاهر بالقول بأنه قتل في لحظة أصبحت فيها أميناً على إيماني من الابتذال الفلسفي كما أصبح فيها إميناً على مدينته من الإنغلاق الديني ما يساعدنا على تلِّيين ثَّنائيَّةً اليسار واليمين انطلاقاً إلى كلُ فروع نظام الثنائيات في الفكر والتاريخ. علنا نكتشفِ ونشغل العلاقة الجدلية بين التّنوير والعدالة بدل المراوجة ومفاقمة الخسائر وتأبيد التِّخلُّف والاستبداد تحت لافتة التنمية الشاملة التي يريد بعض القائلين بها على الربَعم مِن وجاهتها أن يعطلوا الشرط الثقافي لها ويحولوا

سلاماً إلى جِورِج حاوي الّذي ربّما كان مصادراً أو ممنوعاً من المركز الأممي الروسي في إلحصلة من قول الوطنى إلى أن طلق المركز أطرافه فأمكن لـ "جورج حاوي" أن يظهر مكنونه الندي سكت عنه بعدما تعرض للقتل المعنوي في السنتينات جزاء ميله إلى وعبي آخر لإشكالية الإمبريالية والتحرر.

الإمبريالية مرة ثانية إلى ذريعة

للغوغائية.

نقد الايديولوجيا والقومية وخطاب المعاصرة

د. رضا الموسوي

بعد ان هدأ نزاع الايديولوجيات بين الرأسمالية والشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي اصبحت قضايا الهوية القومية وحق تعيين المصير القومى تحظى باهمية خاصة. ولذا فقد حلت قضايا اخرى في قوانين القضايا السياسية العالمية فلم يعد التأكيد على ان اقتصاد الدولة مبنه على السوق وانما صرنا نتداول في تفكيرناً حدود الدولة وامتداداتها والى لغة وثقافة او دین یسود فیها. ان دیفید ملر فے کتابه (حول القومية) لم يقتف اثر النظريات التى تعالج موضوع القومية فهو لم ينو اثبات لماذا طرحت قضية الهويات القومية او ما هو عمل هذه الهويات فهو لم يدافع وباندفاع عن القومية في الوقت نفسا الذي لم يرفضها كوجود غير معقول ولكنه سعى للتأمل بدقة وعقلانية في ماهية القومية ومشروعية ما يطرح في هذا المجال.فهو يدافع عن القومية التي يوضح ابعادها في كتآبه ويعتقد بانه قد قُدْمها في اطار منطقي. انه ومن خلال السطور الاولى لكتابه هذا يرفض

تطرقين رائجين حول القومية وهما: ١- النظرة التي ترى ان القومية قوة خارجة عن السيطرة الانسانية ويرى انها نظرة بدائية (primitive)وما دون انسانية ((subhumanويؤكد في هذا المجال علي تفوق الاكتساب على الغريزة والاحاسيس المشتركة بين البشر.

٢- النظرة التي يؤمن بها الواقعيون لمسألة الهوية والوفاء القومى بكونها جزءا لا ينفصم من الظروف الانسانية المعاصرة. أن القومية ظاهرة علينا الاعتراف بها كواقع حياتي ومع ان هذه النظرية مقبولة عمليا ولكنها تأخذ بالحسبان القومية على انها اساس لحاجات لا شعورية للافراد او احدى مستلزمات المجتمع الحديث والتي يمكن خلقها والمحافظة عليها بواسطة النتاج الفعال للفكر والتعامل بين الافراد. وفي هذه النظرة فان القومية ظاهرة كثير ما (يمكن احداثها) الي حد الامر الذي

لكي نفهم وندرك معنى الهوية القومية لا بدًّ لنا اولا من ان نعرف ماذا تعني القومية ؟ فالشعوب ليس لها امور مستقلة عن عقائد افرادها ، فعندما نذكر

مجموعة من الافراد على انهم قومية (امة) فاننا لم نغفل الأشارة الي عدة اشكالات بين الدولة والقومية اهمها: ١- وجود عدد من القوميات داخل دولة

من الدول الاخري ومنها بلَّدنا العراق. ٢- وجود قومية واحدة في عدة دول كالالمان قبل اتحاد الالمانيتين.

وايران وتركيا وسوريا.

ان المجاميع القومية والمجاميع الاممية ترتبط مع بعضها بخصائص ثقافية مشتركة تجعلها في حالة تقابل في ما بينها. فمجموعة قومية اجتماعية من .. تيار مشترك لها خصائص مشتركة من اللغة والدين تميزها عن المجتمعات المجاورة وان كونها امة يعطيها متبعا للهوية القومية الجديدة وعندما نجد امة تتعرض هويتها للتهديد او تجد نفسها غير متحققة الاهداف السياسية المشروعة لها فان هنالك احتمالاً كبيراً أن تتصور نفسها قومية واحدة. ومع ان تعايش الامة القومية امر مقبول بالكامل ولكن يبقى امر احساسها بالمأمن والراحة لهذه المجموعة القوة مرتبطا بهويتها القومية ومؤسساتها السياسية. ويعتقد ميلر باننا يمكن ان نكون امة متعددة القوميات ولكنه من جانب اخر يعتمد على تعريف للقوميات بانها اجتماعية متجانسة وممكنة الحصول من جانب كونها امة. ثم يعرج ميلر على الخصائص

الهويَّات وعلى النَّحو الآتي: ١- ان المجتمعات الاممية هي وليدة العقائد والمعتقدات واينما وجدت الامم فان اعضاءها يعرف احدهم الاخر بانه

٢- ان الهوية القومية تتطلب نوعا من التداوم التاريخي يتم التاكيد عليه بصورة خاصة في حالة الانتصارات او الخسائر العسكرية ويعتقد ارنست رينان بان التراجيديات التاريخية لها اهمية

خصائصهم الفيزيائية فقط وانما ايضا الى المفاهيم المهمة التي يتصورون بها بعضهم. ثم يبدأ ميلر بالتفريق بين ميزتين اساسيتين هما (الدولة والقومية والامة والقومية). الاختلاف بين الدولة والامة حيث تطلق كلمة الامة على جمع من الأفراد الذين لهم حق تعيين المصير من الناحية السياسية. اما كلمة الدولة فتشير الى مجموعة من المؤسسات السياسية ويفسر ميلر ذلك بقوله ان ما يوضح مفهوم الدولة هو خاصية انحصار القوة المشروعة في حدود مشخصة. والواقع ان الدراسات في هذا المفهوم تجد

واحدة كالاتحاد السوفيتي السابق وغيره

٣- تناثر شعب قومية واحدة وعدهم اقلية في عدد من الدول مثل الاكراد في العراق

التى تميز الهوية القومية حيال بقية

مواطن وتعد هذا رسميا.

اكثر لانتصارات التاريخية. ٣- ان الهوية القومية المشتركة بين الافراد لا بد لها من وجود ثقافة عامة مشتركة تنسجم وتتنوع المجاميع القومية. ان الهويات القومية تشمل عناصر لافته

للانتباه تشمل من الخرافة والاسطورة وعلى هذا الاساس فان كثيرا من الموارد التي تعتمد على الاصالة والقدم primordial)) فهي في الواقع مصنوعة

من اجل تحقيق اهداف سياسية. المضمار الثاني لكتاب ميلر (حول القومية) يتحدث عن القومياتُ الآجتماعية الاخلاقية وبهذا المعنى فان الافراد يقبلون الالتزامات الخاصة تجاه اعضاء قوميتهم بمعزل عن سائر المخلوقات الانسانية.

ويميز ميلربين وجهتي نظر عامة اخلاقية وخاصة اخلاقية تحت هذا التقسيم: ١- العامة الاخلاقية وفيها نفرض الاصول الاخلاقية على الفرد ما يجب عليه عمله، من هنا فان هذه الاصول العامة والدائمة تبين لنا وظائفها تجاه سائرالافراد ، فانا اساعد فردا ما لانه انسان له قيمة عليا من كوني اساعده لانه اخى او صديق او

. ٢- خصوصيات الاخلاق. وهي علاقات بين اشخاص وحقائق رابطة relational هى نفسها جزء من موضوع اساس للآخلاق واصول بنيوية ترتبط مباشرة بهذه العلاقات ، انا اساعد فردا لانه اخي. انه يعتقد بانه يستطيع التصرف وفقا لاساس الوفاء الالتزامي نحو ابناء الوطن الواحد ولايعني هذا الآمر نقضا للحقوق الاساسية للآجانب فهنا علينا اولا ان نلتفت اكثر الى حاجات الاقرب الينا ثم نعمل على تحقيقها وهذا يمكن القول انه وفي نهاية المطاف سيحقق كل حاجة الاقرب اليه مما يعني هنا تحقيق كل حاجات البشرية كحق تعيين المصير القومي. أن المجتمعات القومية لها حق ادعاء مناسب من اجل تحقيق مصيرها ولا بد لكل امة من ان تكون لها مجموعة من المؤسسات السياسية لتتمكن هذه الامة من اتخاذ قرارات جماعية في القضايا التي تقلق اعضاءها وبالطبع فليس بامكان كل الامم تحقيق تقرير المصير بشكل كامل

وهنا يطرح ميلر السُؤال التّالي. الـى اي حـد يجب ان تنطبق حـدود الوحدات السياسية مع الحدود القومية، وهو يقوم ببحث هذه القضية من جهتين

١- يمكن البدء مع القومية بكونها مصدر الهوية الشخصيةوطرح السؤال التالي لماذا تعدُّ مسألة مطالبة قومية ما بتقرير مصيرها السياسي ذات قيمة والجواب

اولا: حيثما وجدت الدولة القومية فان

هذه الدولة بامكانها توسيع مجموعة من مؤسساتها (التي يسميها جون راولتر البناء الاساسي للمجتمع) وهي المؤسسات

الدولة وبالطبع فان القومية ليست المنبع الوحيد للثقافة ولكنها مصدر رئيس ومهم للثقافة ، وان دور الدولة هنا العمل

طرح السؤال التالي: للاذا تنجز وظائف

تتعاون وتتضامن معها في تحقيقها

ان اهل القومية يؤكدون على الظروف السياسية التي تضمن وتؤمن الهوية القومية ولكن ميلر يرفض الفكرة القائلة ان اية مجموعة ثقافية منحت حق تقرير

المصير القومي لها الحق في تكوين دولة. اتهم القوميون بخلق نزاعات وحشية بين القبول بالمزايا الداخلية او القومية فان مرحلة ما بعد الحربين العالميتين تشير الى ان الخلافات الدولية امكن حلها بطريقة سلمية بين هذه الدول الليبرالية من دون ان تكون القوميات ذات الحكم فان النظريات الحديثة تعتقد ان يضع ميلر وجهة نظره في هذا المجال

قبالة وجهتي نظر رائجتين هما: ١- وجهة النظر هذه تعتقد بأن الهويات القومية هي هويات جامعة تعطينا أهمية كبيرة وان حفظ هذه الهويات لتكوين دولة ضروري وعليه فيجب نقل هـذه الهويات الى الاجيال من ابناء القومية نفسها وعليه فلا بد من وجود حرية فردية تكون تابعة للقومية وهذه ترشدنا لا للحقوق الاساسية فقط وانما تحافظ

٢- التعدد الثقافي الراديكالي: ان هذه

التي تعين ووفقا لمتطلبات العدالة الاجتّماعية الحقوق والواجبات للناس. ثانيا: الثقافة القومية تحتاج السناد

على توفير الاطار والجو الملائم الذي تتسع فيه الثقافة وتتكامل. ٢- بالامكان البدء مع الدولة وهنا يتم

وعمليات الدولة بصورة افضل ؟ وكذلك نستطيع ان نبدأ بالدولة وهنا يمكن طرح السوال التالي لماذا تكون قرارات الدولة السياسية ذاتّ قوة عندما تكون مسنودة من ابناء المجتمع القومي الواحد وهنا لا بد للتطابق العرقي والتجانس الثقافي ان يؤخذ بالحسبان فاهداف الدولة هنا هي اهداف هذه الجماعة التي تكون الدولة وبالتالي فهي

واتخاذ القرار اللازم.

خلال مراحل كبيرة من القرن العشرين الدولة التي تقع علي اراض متجاورة وقد اعتقد بعض الليبراليين انه حتى وان تم هـذا الامـر سيـؤدي الـى قمع وحشى للاجانب ان تجرية الدول الليبرالية في الذاتى ضحية لهذه الصدامات وبالنتيجة القوميات بالضرورة هي قوة ليبرالية وهنا

على الهوية القومية المشتركة في مجالات

تعليم الصغار او الهجـرة.

النظرية تاخذ بالحسبان الدولة بكونها الوعاء الاصلى وان انواع الهويات الضردية والجماعية لابد من ان تكون حاصلة عدم الممانعة في التعايش والتطور. فليس على الدولة ان تتحمل التنوع الفردي والجماعي دائما عليها ان تعرف بهذه الهويات بصورة رسمية. ويجب والحال هـده عـدم اعطـاء وزن او قيمـة كبيـرة للهويات القومية ومن وجهة نظر هذه النظريات ان الهويات القومية هي نتاج منجزات سياسية في الوقت الذي تكون

فيه الهويات مبنية على اساس الجنس او

القومية او المعتقد الديني و... دليلا

اصيلا على الاختلاف الفردي. ان ميلر يعتقد مع تجوله بالتنوع والتعدد للمنابع الاحتمالية للهوية - بان الهويات الجماعية والقومية لا بد لها ان تتعايش في المجتمعات متعددة الثقافة او بعبارة اخري لا يمكن القول انه لا بد من عقد مصالحة بين المؤمنين بالتعددية الثقافية والمعتقدين باصل القومية ويجب ان تعرف القومية بكونها الولاء لجموعة من المؤسسات او الاصول

يبحث ديفيد ميلر في الجزء الختامي من كتابة هذا الفكرة التي تقول بان عصر القوميات ودولة القوميات يعانى مرحلة افول ويستند الى حقيقة ما يجري في المجتمعات الليبرالية الغربية من نتائج ادت الى افول الهويات القومية الامر الذي صار يتطلب زوال هذه الهويات او حصولها علي مصادر جديدة لاثبات شرعيتها.

ويشير ميلر بعد ذلك الى الدلائل المؤشرة على افول القومية فيوجزها بالاتي التأثير المتزايد للسوق العالمي على الاستهلاك الشخصي وأساليب المعيشة من بين ذلك سوق البضائع والمنتجات الثقافية مثل التلفزيون والأفلام الخ.... مع تنامي حجم التجارة العالمية وتشابه مستويات الاستهلاك في كل مكان. فالشعوب اصبحت لا تتناول الاغذية

المتشابهة فقط وانما صاروا يلبسون الملابس المتشابهة ويقرأون الكتب المتشابهة ويشاهدون البرامج المتشابهة وهذا التساوي الثقافي صار جليا واضحا. فهنالك وسائل اعلامية مهمتها املاء ما علينا ان ناكل وما علينا ان نلبس او نقرأ و... ولهذا فقد صار الاختلاف والتميز عن الأخرين صعب الحصول.

الاعتقاد والولاء لاحد الادبيات ايضا يؤدى دورا مشابها مثال ذلك دخول كثير من الشعوب الى الدين الاسلامي قلل من ولائها لعرقياتها وقومياتها بالنسبة لولائها للاسلام كدين.